دراســات فى الحضــارة والمدنية

بحث السيد/احمد عيسى القطان
كليــة الاداب ـ جامعة بغــداد

١ ـ ماهية الحضارة والمدنية :

تضاربت الاراء حول معنى الحضارة والمدنية ، فلا يوجد معنى واحـد لهاوحتى في العلوم الاجتماعية نفسها لايوجد اتفاق بين العلماء على معاني محددة لهذه الالفاظ • ومع كل هذا نستطيع اذا ما استعرضنا المعاني المختلفة لهذه المصطلحات في العلوم الاجتماعية ان نعطيها مفهومين :ـ

المفهوم الاول :

وهو الاكثر اهمية ، هو ان المدنية بحد ذاتها ماهي الاشكل من اشكال الحضارة ، وفي طيها نجد ثلاثة اشكال لاستخدام كلمة مدنية :

آ ـ استخدام كلمتي حضارةومدنية بمعنى واحد اي كمرادفين •

بـ المدنية هي الحضارة حين تتعقد هذه وتتميز بخصائص معينه •

جـ ـ المدنية هي الحضارة اذا ما وصلت الى درجة واضحة من الرقي • وامكن قياسها بمقاييس خاصة •

المفهوم الثاني :

ويستند على مقابلة المدنية بالحضارة ، فالحضارة تتجرد حتى تصبح معبرة عن مجرد افكار ومبتدعات انسانية متعلقة بالاساطير والدين والفن والادب ،

في حين ان المدنيـــة تـــدل على المبتدعـــات الانشائيـــة المتعلقـــة بالعلـــوم التكنولوجية[١] .

اما عن علماء الانثروبولوجية الحضارية الاوائل فكانوا يعتبرون المدنية والحضـــارة ذات معنى واحد من حيث المســـاواة ، فالعـــالم الاجتماعي الانثروبولوجـي الانـكيزي ادورد تايلـر (E. Tylor) كان مترددا في مدلولهما فاحيـانا يقـــرر ان المدنية او الحضـارة في معناهـــا الاثنوكرافي (Ethnography) الواســع هي : ذلـك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات واية قدرات اخرى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع[٢] .

وعند العالم الاجتماعي الفرنسي اميل دوركهايم (E. Dorkheim) وتلاميذه او ضحوا بأن ليس هناك فرقا بين مصطلحي الحضارة والمدنية فلفظ المدنية والحضارة متحدان عند الانثروبولوجين وعلماء الاجتماع الاوائل ، وان اختلف بين العلماء الانكليز والفرنسيين .

بعد هذا بدأت مرحلة جديدة في استخدام اللفظين ، ففريق من العلماء يذهب قائلا الى ان المدنية شكل من اشكال الحضارة يختلف نوعا وكيفا عن الاشكال الاخرى وهذا المفهوم لايزال قائما حتى يومنا هذا . وهذا بطبيعة الحال يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادي حين كان العلماء متأثرين بما احدثته الاكتشافات العلمية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي من تقدم وتطور في مجال الحياة الاجتماعية وكانت المدنية عندهم تعني التحضر والتمدن .

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية ص٢٣٢ـ٢٣٤ تصدير ومراجعة . ابراهيم مدكور سنة ١٩٧٥

(٢) Edward Tylor. Primitive Culture, London, p. 246 1871.

فالمدنية عند العلماء في القرنين السابع عشر والثامن عشر هي (مجموعة من القيم والنماذج التي تحققها الانسانية في تطوورها ،ومجموعة من الانماط الاجتماعية والاخلاقية والصناعية التي يحققها المجتمع للوصول الى السعادة الانسانية) .

فالعالم الاجتماعي الفرنسي كوندرسيه (١٧٤٣ ــ ١٧٩٤) يقول :

ان المدنية عبارة عن اختفاء الحروب والاستعمار والبؤس ، ثم يأتي العالم الاجتماعي جيزو : بقوله ان المدنية : عبارة عن سيادة امبراطورية العقل الخالد على العالم .

وكان يعتقد بعض مفكري القرن التاسع عشر بأن المدنية خاصة بالمجتمعات الغربية حيث اعتبروا ان التقدم العلمي والتطور التكنولوجي هو المعيار للتفرقة بين الشعوب المتحضرة والشعوب غير المتحضرة ، وهذا ما يمكننا الرد على هذا القول المتعصب والصيغة الفحوى جعل علماء القرن التاسع عشر الميلادي ان يأخذوا مثل هذا المعيار وهو معيار العلم والتقدم التكنولوجي اكثر من اتخاذهم معايير اخلاقية كأساس لتلك التفرقة .

فالعالم شبنكلر (Spengler) في فلسفته للتاريخ يعرف المدنية بأنها مرحلة تفسخ الحضارة ، تلك المرحلة تفقد فيها الحضارة حيوتيها الخلاقة ، ومن ثم تتحول الى شيء ميكانيكي جامد[٣] . في حين ذهب العلماء في تعريفهم للحضارة بأنها المجموع الكلي لما يتعلمه الفرد في مجتمعه من سلوك [٤] .

---

(٣) د . احسان محمد الحسن . علم الاجتماع ــ ص١٥١ــ١٥٣ مطبعة اوفسيت بغداد١٩٧٦ .

(٤) E. Adamson Hoebel "The Nature of Culture", In Ed. by Herry Shapiro, **Man, Culture & Society** (New York Oxford univ. Press 1971) p. 208.

اما علماء القرن العشرين فقد فرقوا بين المدنية والحضارة دون اصدار احكام قيمية على شعوب متحضرة أو غير متحضرة ، اذ لكل شعب حضارته بدائيا كان أم متطورا فله معايير علمية وتكنولوجية خاصة به • بينما يرى آخرون : : أن مصطلح الحضارة Culture يستعمل على الاقل في مفهومين مختلفين Different Senses المفهوم الاول : يشير الى أن الحضارة هي مظهر مركب فوق البشر ، أو ربما هي تخص طريقة حياة جماعية معينة •

المفهوم الثاني : وهذا ما يشير اليه علماء الانثروبولوجي حيث يصفون الحضارة بأنها أساليب منجزه وتقتبس من قبل الفرد Individual كأي شيء وراثي(٥) •

ان الحضارة تهتم بالنواحي الاخلاقية والروحيه في حياة المجتمع الى جانب المظاهر المدنية • ويتعلق بتلك المعايير الخاصة بالمدنية اكتظاظ المدن المزدحمة بالسكان ، ووجود صناعات وحرف معقدة تقوم على التخصص الدقيق •

ان العالم كروللييه (Kroelier) يربط فكرة المدنية بتطور المجتمع العلمي والتكنولوجي ، وان كان لاينكر مالهذا التطور من اثر في المجال الحضاري او الاخلاقي ، ففي انتشار العلم والتكنولوجيا مثلا مايصرف الناس عن التعديل على السحر والشعوذة ، وهناك علماء آخرون يفرقون بين المدنية والحضارة على اساس الكم لا الكيف • فالمدنية شكل معقد من اشكال الحضارة • يقول بيلز (Beals) وهويجر (Hoiser) ان المدنيات كلها قديمها وحديثها والسائد منها اليوم ليست الا حالات خاصة من الحضارة

---

(٥) Mischa Titiev, Inroduction to Cultural Anthropology (New York Henry Holt and Co. 1959) p. 11.

تتميز بكمية مضمونها ونقد انماطها ، ولكنها لا تختلف عن الناحية الكيفية والنوعية عن حضارات من يسمون بالشعوب غير المتحضرة[٦] .

وهناك بعض العلماء يفضلون مجال المدنية عن الحضارة نهائيا ، فهم يقصرون كلمة حضارة على النظم والمعايير التي تعبر عن حياة الجماعة الروحيه كالدين والادب والفن والغايات الأخلاقيه العليا .

اما المدنية فتنصب على المظاهر المادية والميكانيكية التي ابتدعها الانسان في محاولة لضبط ظروف حياته . وهذا المعنى الذي ساد عند العلماء الالمان وعلى رأسهم الفريد ڤيبر (A. Weber) الذي استقى منه العالم الاجتماعي الاميريكي مكيفر أفكاره (R. M. Maciver) ويتضح أن اغلب من فصلوا المدنية عن الحضارة تأثروا جميعا بعلماء الاجتماع الالمان .

هذا وقد انشأ العالم الاجتماعي الالماني الفريد فيبر علما خاصا لدراسة المدنية والحضارة واطلق عليه علم الاجتماع الحضاري (Sociology of Culture) وبرهن فيه على ان المدنية تستند على العقل بالاضافة الى انها لا وطن لها ، وذلك لان نماذجها تنتقل بسهولة من مجتمع الى اخر . اما الحضارة فأساسها العاطفة والقيم الروحية وهي تقوم على الكمال الروحي والفلسفي للانسان . واخذ عنه في هذا ـ كما قدمنا ـ من الامريكيين العالمين الاجتماعيين مكيفر و اودم (R.M. Maciver & H. W. Odum) غير ان معظم العلماء الامريكيين يعتقدون ان المدنية هي جزء من الحضارة .

اما علم الحضارة عند العالم الاجتماعي العربي التونسي (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦) ابن خلدون هو ... علم العمران البشري والأجتماع الانساني .

---

(٦) A. L. Beals & Hoiser. The Macmillan Co, New York 1959. In Introduction to Anthropology, Third Edition p. 271. 272.

وفي الحقيقة فأن ابن خلدون نظر الى تطور المجتمع البشري من خلال مروره في اربع حالات تتدرج من البساطة الى التعقيد : وهي حالة البداوة ، وحالة الملك وحالة الحضارة ، وحالة التمدن •

فمفهوم الحضارة اذن عند ابن خلدون هو ذلك النمط من الحياة المناقض للبدارة والمتصف بالاستقرار في الحضر اي المدن ، والقرى وما نشأ من زراعة للارض وانتظام في الأدارة والصنائع والعلوم ومكاسب العيش ومن وسائل الرفاه الاخرى •

فالتعريف الحديث للحضارة حسب البحوث الاجتماعية الحديثة تعني مستوى معينا للحياة المادية والروحية والاجتماعية لمجتمع من المجتمعات اي يقصد بها مجموع الحياة التي يحياها شعب واحد او شعوب عده • بما تضم من تنظيم في الحكم وسبل في تحصيل المعاش وعلاقات اجتماعية ومعرفه نظرية وقواعد سلوكية وغيرها من المقومات التي تتمثل بها تلك الحياة[٧] •

وبالاضافة للتعاريف المتعددة لمفهوم الحضارة فأن هناك تعاريفا أخرى •

فهناك تعريف العالم الالماني كوستاف كليم (Custav Klemm) (١٨٠٢ - ١٨٦٧) حيث قال ان الحضارة هي : مجموعة العادات والمعلومات والمهارات والحياة الخاصة والعامة في الحرب والسلم والدين والعلم • وتتمثل الحضارة في نقل تجارب الجيل الماضي للجيل الحاضر •

ويعرف الاستاذ روبرت لوي (Robert Lowie) (١٨٨٣ - ١٩٥٧) الحضارة بأنها (مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه ، أي المعتقدات والتقاليد والنماذج الفنية ، والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف ، التي تضاف لا عن طريق فعالياته الابداعية بل كميراث من الماضي ينقل اليه بالتعليم العفوي أو المنظم) •

---

(٧) سلطان ناجي مظاهر الحضارة اليمنية القديمة في محاولة تطبيق التفسير التوينبي عليها عن مجلة آفاق عربية . العدد الثاني ، السنة الرابعة ص٨٤ تشرين الاول سنة ١٩٧٨ •

اما الاستاذ رالف بدنكتن (Ralph Piddington) فيأتي بتعريف فريد ، اذ يرى ان مدنية شعب ما تتكون من (مجموعة الادوات المادية والفكرية التي يستطيع بها ذلك الشعب اشباع حاجاته الحياتية والاجتماعية وتكييف نفسه لبيئته) .

ويعرفها الاستاذ فلفل جرسكوفنس (M. Herskovits) بانها (الجزء الذي يخلقه الانسان من البيئة) . ثم يصفها بانها : (تتعلم وتلقن وذات كيانات متميزة وقابلة للتقسيم الى اوجه مختلفة ومتغيرة وتتفرغ من كل حاضر المكونه لوجود الانسان)

ويذهب العالم الاجتماعي ماثيوارنولد (M. Arnold) فيعرف الحضارة بانها دراسة الكمال والبحث عن الجمال والضياء فهي حالة داخلية للعقل والروح لايمكن ان تنعكس في الظروف الخارجية الحيطة بالانسان [٨] .

ان المدنية هي عبارة عن نظام قائم في مجتمع له عقيدة ودين وفلسفة خلقية توحد انماط السلوك المختلفة وتمكن الناس للقيام بعمل جماعي . وخير ما يمثل الحضارة وجود المؤسسات الاجتماعية التي تعين الناس على العمل الموحد وعلى انسجام وجهات النظر والوصول للاجتماع في الرأي وقت الخطر المداهم الذي يحيق بالامه .

من هذا نستطيع القول اذن ان الحضارة تصبح ذات عامل موحد[٩] واخيرا ان الحضارة والمدنية تميز جميع المجتمعات الانسانية ، فحتى المجتمعات البسيطة فيها نوع من الحضارة والمدنية ومثل هذه الحضارة والمدنية تعمل على رسم طبيعة اطارها الحياتي ، وتحدد معالمها الاجتماعية .

---

(٨) د . احسان محمد الحسن ، علم الاجتماع ص١٥٢ لسنة ١٩٧٦ مطبعة اوفسيت بغداد .

(٩) د . عبدالجليل الطاهر . المشكلات الاجتماعية ص١٤٢-١٤٣ مطبعة دار المعرفة ، بغداد سنة ١٩٥٣ .....

وعندما تقوم شعوب المجتمعات البدائية بتغيير معالم البيئة الطبيعية التي تعيش فيها وتسخر القوى المائية والهوائية لفائدتها وتستغل المياه والتربة واشعة الشمس في الاغراض الزراعية او تمارس طقوسها الدينية وعاداتها الاجتماعية فانها تكون قد تأثرت وأثرت على طابع الحضارة والمدنية في آن واحد[١٠] .

وقد قال البعض من الكتاب بأن المدنية تتصل بنظام الدولة . بينما ترتبط الحضارة بحياة الشعب وفي معنويته .

اشتقت كلمة (مدنية) او (تمدن) (Civilization) من اللغة اللاتينية (Civilitas or civilis) وقد عنت بادىء ذي بدء المجاملات التي اظهرها الرومان للشعوب المغلوب على امرها .

اما في العصور الوسطى فقد شمل استعمال الكلمة معاني جديدة فقد عرفها الفيلسوف دانتي (Dante) في كتابه المشهور De Manarchia بانها وحدة اجتماعية ذات كيان ووجود فوق الفرد ، كالعائلة والامة الا ان المعنى الحديث قد تطور على ايدي الفلاسفة العقليين في القرن الثامن عشر وفي مقدمتهم الفيلسوف الفرنسي فولتير والكتاب الانسكلوبوديون .

اما الكتاب المحدثون فانهم يصرون على التفريق بين الكلمتين ، كما انه ليس من الممكن الاكتفاء في البحث عن الحضارة في المظاهر المادية المحسوسة فقط .

الفروق الاساسية بين الحضارة والمدنية

اذا حاولنا استعمال كلمة (حضارة) Culture للاشارة الى مجتمع يسود فيه نظام خلقي وعقيدة مشتركة ، فأن كلمة (مدنية) Civilization تتصف بالاقليمية وبالروح المحلية ، أو بالمفهوم المكاني الجغرافي ، وهي تتاج الفعاليات المادية والاقتصادية .

---

(١٠) د . احسان محمد الحسن ص١٥١-١٥٢ . مطبعة اوفسيت عام ١٩٧٦ .

فالحضارة تستند على اذابة العناصر الغريبة والمختلفة ، بعملية من التمثيل الاجتماعي ، وذلك بتحويل انظمتها الدينية والخلقية الى قوانين دنيوية ففي ظل الأمبراطوريات يعيش الناس من مختلف العناصر والاجناس جنبا الى جنب وبالنتيجة تسود حضارة واحدة في كافة المجتمعات • ولايمكن قيام الحضارة بوجود الانقسامات الطائفية والطبقية حيث أن نشأتها وتطورها وازدهارها يتطلب اجماعا في الرأي لان الاجماع في الرأي يعني وجود تفاهم عام ، وأهداف عامة ـ ومصالح مشتركة حيث ان النقل الفكري عن طريق المساهمة والمشاركة في حياة عامة •

يعتبر العالم الاجتماعي الالماني الفريد فيبر (A. Weber) مؤسس علم الاجتماع الحضاري (Sociology of Culture) حيث اعتبر (الحضارة) ظاهرة روحية أبداعية وحرة •

او هي (المجموعة الحية) في البنية الاجتماعية ، بينما وصف (المدنية) بكونها ظاهرة عقلية ، وهي تتاج جهد الانسان للسيطرة على المحيط الطبيعي والحضاري عن طريق الذكاء والعلم والصناعة • بينما تتوخى الحضارة (تحقيق الروح) او (النزوة العاطفية) (١١) •

ولعل من ابرز الفروق بين الحضارة والمدنية هو (التعاقد) ـ المكانة الاجتماعية ـ • ففي المدنية يرتبط الناس بعضهم بالبعض الاخر عن طريق التعاقد ، بينما يحاول الفرد في الحضارة ان يطمئن حاجاته النفسية والمادية بالحصول على مكانة اجتماعية •

ويمكن القول بأن الحضارة ظاهرة فريدة • ((Unique)) اذ تختلف اختلافا كبيرا عن العناصر المكونة للمدنية التي تباع وتشترى •

---

(١١) د • عبدالجليل الطاهر • المصدر السابق ص١٤٣

ثم ان من مقومات المدنيـة لاتتصف بالقدسـية والاحترام كمقـومـات الحضارة ، لان بأستطاعة كل فرد ان يدخل في حوزته المدنية لغرض التمتـع بفائدتها ومنفعتها .

ويعتقد الفيلسـوف شـبنكلر (Spengler)بأن كل حضـارة (Culture)تميل لتصبح في الاخير مدنية Civilization فكلمـا اتسعت المدنية وتعقدت الحياة اشتدت الهجمات والضربات التي تسددها المدنية صد الحضارة ، حيث يميل سكان القرى والارياف الى كسر الروابط العائليـة المقدسة والنزوح الى المدينة ليشيدوا جزرا حضارية منعزلة ، سرعان ماتتلاشي حدودها وسط مدنية معقدة ومركبة ـ لانها تحررهم من القيود الاولى ولانهـا مؤسسة على العلاقات الثانوية غير الشخصية .

تضعف المدنية الجذور الحضارية للناس فتقضي على تضامنهم .... وتعمل على هلهلة النسيج الاجتماعي ، وبناء على ذلك فأن نمو المدن وأدخال التعاقـد يؤدي الى زعزعة مكانة الحضارة بالنسبة للمدنية Civilization

يصبح التفريق بين الحضارة والمدنية في قولنا ان الحضارة مؤسسة على العلاقات الاولية التي يسود فيها التجاذب الروحي والتضامن العائلي ، بينما تتحكم العلاقة المكانية والجغرافية في المدنية .

ان الروابط التي تربط افراد الحضارة الواحدة بعضهم مع البعض الاخر هي المشاعر ، والالتزامات الخلقية والروحية والاخلاص والولاء المتبادل بينمـا تعم في المدنية الروابط المحلية والتجارية . تتصف الحضارة بالعصبية العنصرية .

بينما تتميز المدنية بمحبة الوطن ـ اي الاخلاص لمجتمع يشغل رقعة معينة من الارض ـ يحل الشعور بالحرية في المدنية محل التضامـن والانسـجام في الحضارة .

لهذا من الممكن اعتبار الحرية تتاجا لفكرة الحدود السياسية والاقليمية حيث توجد الحضارة بوجود النظام العائلي المقدس ، بعكس المدنية التي تنعش المصلحة الفردية • تستند المدنية على فكرة المجتمع الاقليمي القائمة على اساس التعاون التنافسي ، بينما تقوم الحضارة على الاجماع في الرأي • يبنى النظام الاجتماعي في الحضارة على التقاليد والعادات الاجتماعية والاداب الشعبية Folkways بينما النظام الاجتماعي في المدنية على الرأي العام المميز بالانقسام والتبدل وبعدم الاستقرار •

قلنا بأن المدنية قائمة على فلسفة نفعية معيارها الكفاءة والمهارة والتخصص وغاياتها معلومة وقابلة للتنبؤ والقياس ، وهي مجتمعة ومتطورة تنتقل عن طريق التجارة والتبادل ، بينما يتم نقل الحضارة بالمساهمة في الشعور وفي التفكير المتشابهين ولما كانت الحضارة تتاجا للروح الانسانية وتنتقل بالتجاذب الروحي ، وان الحضارة لها تأثيرها الواضح على حياة الافراد منذ الولادة الى الموت سواء كان هذا التأثير شعوريا Conscious أو غير شعوريا Unconscious كما أنها تمارس ضغطها بأنماط وأساليب معينة مؤثرة في سلوكه(١٢) وبالتقدير والاعجاب المشترك وبموجب ذلك يمكن أن تكون المدنية وسيلة من وسائل النقل الحضاري ، عن طريق الراديو والتلزيون في نقل الغناء والوسيقى •

تغير الحضارة والمدنية

يعتقد العالم الاجتماعي الامريكي وليم اوكبرن Wm. Ogburn وغيره من العلماء • أمثال كنزبرك وهوبهوس وويلز بأن الحضارة تقسم الى قسمين : الحضارة المادية ، والحضارة المعنوية • ويؤكد وليم اوكبرن ان الحضارة المادية تنمو بسرعة تفوق الحضارة المعنوية ، ويضيف قائلا ان طبيعة الحضارة تتجلى

---

(١٢) Edited by Richard Kluckhohn, culture & Benhaviour (N. Y. The Free Press 1962). p. 25.

ليس في حياة الموضوع نفسه ، وأنما في طريقة صنعه ، التي تنتقل من جيل الى جيل ـ وعلى اساس التعاون بين قسمي الحضارة ـ صاغ نظريته في التكلـــوء الحضـــاري Cultural Lag Theory وقد ارجـــع وليم اوكبرن التبـــدل الحضاري الى عامل واحد هو الاختراع ، وخاصةفي القسم المادي من الحضارة .

الا انه في كتاباته الاخيرة يعترف بأن (المدنية) تشير الى المراحل الاخيرة من تطور (الحضارة) ، وعلى كل حال فلو استثنينا العالم الاجتماعي وليـــم اوكبرن الذي يرغب بأستعمال كلمة الحضارة لانها تتضمن حكما خلقيا ومقاييس ذاتية نجد كثيرين من علماء الاجتماع من يفرق بين المدنية وبين الحضارة ، فليس من المعقول اذن استعمال احدهما بدلا عن الثانية لوجـــود اختلافـات كبرى بينهما .

وهنا لابد من الاشارة الى نظرية التحول الاجتماعي التي نادى بها العالم الاجتماعي وليم اوكبرن لكي نلقي الضوء على عمليات التحول الاجتماعي في المجتمع بصورة اكثر وضوحا .

لقد اشتهر العالم الاجتماعي وليم اوكبـرن في نظريتـه عـن التحـــول الاجتماعي ، وحسب هذه النظرية انالتغيرات التيتحدث في حضارة اي مجتمع من المجتمعات تكون هناك فجوه GAP يدعوها وليم اوكبرن بالتلكلوء الحضاري والتي يعني بها ان التغيرات المادية في الحضارة اسرع في وقوعها من التغيرات التي تطرأ على الحضارة غير المادية ، وتنص هذه النظرية على أن الحضارة شيء عضوي اشتقت من الافكار الكلاسيكية الاغريقية حـــول المجتمع وتحليله المنطقي . وتعتقد نظرية التلكوء الحضاري ان التغيير يسير في اتجاه طولي ثابت ، وهنا تتفق هذه النظرية مع النظرية الحديثة التلقائية للتغيير الاجتمـاعي التي اعتقد بها كل من العالمين الفرنسي اوكست كومت والانكليزي هربرت سبنسر .

ويعتقد وليم اوكبرن ان التقدم في صناعة الالات التكنولوجيه يعطي التغير الحضاري اتجاها طوليا بمرور الزمن ، الا ان التغير هو عملية قابله للزيادة والتراكم ، وعليه فأن الهبات المتراكمة التي تمنحها الاجيال للحضارة تستخرج من الاختراع ، وهذا ينتج من داخل المجتمع او عن طريق الانتشار الذي يأتيه من الخارج

في الحقيقية ان الاختراعات تعتمد على نوعية القاعـــدة الحضاريـــة الموجودة في المجتمع وعلى القيم الاجتماعية المشجعة للاختراع •

ان المجتمع قد يعارض فكرة قبـــول الاختراعات خصوصـــا اذا كان الاختراع مفيدا للمجتمع ولم يبرهن نفسه على ان لديه القدرة على تغير المجتمع وقلب نظام حياته ، كما ان الاختراعات تقاوم من ناحية اخرى لكونها تتعلق بزعزعة القطاعات الحضارية الاخرى ، او بسبب تكاليف الاختراع او بسبب ظهور المصالح الشخصية التي تتعارض مع الاختراع لانه يعمل على تغييرها •

ويضيف وليم اوكبرن قائلا : انه في المستقبل البعيد سوف تسير مكونات الحضارة المادية وغير المادية (المعنوية) بدرجة من الانسجام في تقبلها للتغير في المجتمع • وبفضل الاختلافات التي تقع في منظمات المجتمع بشأن مدى سرعة تكيفها للتغير الحضاري بشقيه المادي والمعنوي •

يمكن استعمال وتطبيق نظام التلكوء الحضاري في شرح مصادر بعض المشاكل الاجتماعية التي يمكن معالجتها • وبذلك يمكننا اعادة تأسيس البيئة الاجتماعية عن طريق احداث تغيرات سريعة في المؤسسات الخاصة في المجال الحضاري غير المادي ، وبنفس الوقت ضبط وتقييد سرعة معدل التغير في العلم والتكنولوجيا • ومع هذا فأن وليم اوكبرن يدعي بأن المشاكل الاجتماعية والتوترات النفسية يمكن ان يسيطر عليها عن طريق احداث تغيرات في تركيب المجتمع[١٣] •

---

(١٣) علم الاجتماع احسان محمد الحسن ص ص٢٩٩-٣٠٣ مطبعة اوفسيت بغداد ١٩٧٦

ولو اخذنا نظرية التلكؤ الحضاري التي جاء بهاالعالم الاجتماعي وليم اوكبرن وطبقناها على المجتمع العراقي لوجدنا بأن هذا المجتمع منذ عام ١٩٥٠ استطاع احراز درجة محسوسة من التقـدم والتطور في النواحي الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية ولكنه لم يحرز نفس الدرجة من التقدم والتطور في النواحي الفكرية والمثالية والقيمية ،ولذلك فالتوازن الاجتماعـي يصبح غير متكافيء ، الااننا نستطيع القول هنا بأن المجتمع العراقي يستطيع احراز التقدم في شتى المجالات الحضارية والمادية والتكنولوجية[١٤] فيما اذا نجح بتحقيق التوازن الاجتماعي عن طريق احداث تعيرات في تركيب المجتمع .

وقد بدأ القطر العراقي يسير قدما نحو تحقيق التوازن الاجتماعي بفضل الخطط الحكيمة التي وضعتها القيادة السياسية في القطر فنلاحظ انهفيالوقت الذي تقوم فيه (السلطة) بأنشاء وتوسيع المصانع ، تركز اهتمامها ايضا على الجوانب الاخرى ، حيث انها بدأت تهتم بنشر الثقافة عن طريق دور الثقافـة الجماهيرية ، كما انها اهتمت بالفنون وأولتها رعاية خاصة ، اضف الى اهتمامها بالناحية التعلمية ، حيث اننا نلاحظ محاولتها القضاء على الامية في جميع انحاء القطر ، كما انها جعلت التعليم الزاميا ومجانيا لجميع المواطنين .

اثر القسم المادي من الحضارة على القسم المعنوي

لاشك ان الانسان اذا ما اهتدى الى اختراعات حديثة ومتطـورة في المجال المادي ـ التكنولوجي ـ من حضارته فأن هذا ولاريب يعمل على تغيير عاداته وأساليبه ووجهة نظره في الحياة ، وقد زعزع اعتقاده بالقيم القديمة .

---

(١٤) بحث المشكلات الاجتماعية لعملية نقل التكنولوجيا ـ للدكتور احسان محمد الحسن من جريدة الثورة عدد ٢٩ والصـادر بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٤ بغداد بحث القي في مؤتمر التنمية الاقتصادية (انكتات) في ٢٦ شباط عام ١٩٧٩

ان اثر القسم المادي للحضارة كبير في القسم المعنوي منها ، فأن كان التبدل سريعا وجذريا اضطربت بنية المجتمع وأختلفت مقاييسه •

لهذا يبدأ الناس في المقاومة الاجتماعية خوفا من حدوث تبدل فيما لديهم من قيم ومن تراث ، فيسود القلق ويعم الاضطراب[١٥] •

وسرعة التقدم المادي على التقدم المثالي والروحي والقيمي التي تحدث في الدول النامية وتسبب مشاكل وتحديات خطيرة يمكن ان تعالج معالجة ايجابية وذلك من خلال تسريع تغيير الجانب الروحي والقيمي للمجتمع كتغير عاداته وتقاليده وأفكاره التي يحملها ازاء المرأة مثلا او العمل الحر او الانتماء الديني او التعصب او الانتماء او الانحدار الطبقي ••• الخ •

واذا ماتعادل التقدم المادي مع التقدم المثالي والروحي للمجتمع فأن المجتمع سيتخلص من معظم مشاكله وهمومه ، وهنا سيستطيع الفرد من تحقيق اهدافه وطموحاته التي هي أهداف وطموحات المجتمع الكبير • واذا ما استطاع المجتمع من تحقيق طموحاته القريبة والبعيدة الان فأنه سينتقل الى مرحلة حضارية متطورة تختلف عن المرحلة التي كان فيها سابقا •

---

(١٥) W. F. Ogburn, Social Change, University of Chicago, Chicago, p. 234. 1926.

المصادر العربية

(١) معجم العلوم الاجتماعية للدكتور ابراهيم مدكور سنة ١٩٧٥

(٢) علم الاجتماع للدكتور احسان محمد الحسن مطبعة اوفسيت بغداد ١٩٧٦

(٣) سلطان ناجي « مظاهر الحضارة القديمة في محاولة تطبيق التفسير التوينبي عليها » من مجلة افاق عربية العدد الثاني ، السنة الرابعة تشرين الاول سنة١٩٧٨

(٤) بحث المشكلات الاجتماعية لعملية نقل التكنولوجية للدكتور احسان محمد الحسن من جريدة الثورةعـدد ٢٩ والصادر بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٤ بغداد .

(٥) د. عبدالجليل الطاهر . المشكلات الاجتماعية ـ مطبعة دار المعرفة ـ بغداد ١٩٥٣ .

المصادر الانكليزية/ـ

1. A. L. Beals Khoiser, The Macmillan Co., New York 1959. An Introduction to Anthropology, Third Edition.
2. W. F. Ogburn, Social Change, University of Chicago, Chicago, 1926. p. 234.
3. Community and Association (Gemeinschaft and Gesellschaft) By Ferdinand Tonnies, Translated and supplemented by Chalres P. Lodmis, London, E. C. A. 1955.
4. Edited By Harry L. Shapiro, Man Culture and Society (London: Oxford Univ. Press 1971). p. 208.
5. Edited By Richard Kluckhohn Culture and Behaviour (New York the Free Press 1962) p. 25.
6. Mischa Titiev, Introduction to Cultural Anthropology (New York Henry Holt and Company 1959). p. 11.